ووحدة الايمان لكي تكون عمًّا قليل حظيرة واحدة وراعٍ واحد . واملك اخيرًا على جميع الامم الذين يدينون بدين الاوثان ولا تأبَ ان تتقدم من ظلمة الشرك الى نور الله وملكِ تأنس ايها السيد على كنيستك بالسلام والحرّيّة الثابتة وامنح كلَّ الامم والشعوب عيشةً آمنة في الألفة والنظام . وهبْ ألّا يُسمع من اقاصي الارض الى اقاصيها سوى صوت واحد : ليمجّد القلب الالهيّ الذي بهِ فزنا بالخلاص لهُ العزُّ والاكرام الى ابد الابدين آمين

مكتبة دير صيدنايا

للشاب الاديب حبيب افندي زيات

صيدنايا قرية من اعمال دمشق تبعد عنها نحو خمس ساعات يقطنها قوم من النصارى الروم من الطائفتين . وقد كانت قديمًا ذات شأن خطير كما تدلّ على ذلك الآثار الباقية فيها والاطلال القائمة على مقربة منها حتى عدَّ فيها بعض الرحّالة في القرن السابع عشر ست عشرة كنيسة ذكرها باسمائها بقي منها الى اليوم ثانٍ فقط نصفها للارثوذكس ونصفها الآخر للروم الكاثوليك

ورأيتُ في تاريخ مخطوط للشماس بولس الحلبي ابن البطريرك مكاريوس الانطاكي رسالتين عرَّب احداهما عن الرومية وشرح فيها ترتيب كراسي استقفيّات البطريركيّة الانطاكيّة وعدَّدها باسمائها ووصف مقامات رؤساء اساقفتها والذين تحت ايديهم ونسبتهم الى البطريرك . ومما ذُكر في النسخة العربيّة انَّ ترتيب الكراسيّ المذكورة وُضع على عهد انسطاسيوس الاقدس القديم بطريرك انطاكية ستة مئة وخمس للميلاد . وفي النسخة الروميّة عُدّت صيدنايا في جملة استقفيات ابرشية فينيقية لبنان وسُمّيت دانافا ولا ادري ما صحّة هذا اللفظ (١ . واما في النسخة العربيّة فقد جُعل

---

١) قد ذكر لوكيان (Lequien) في كتاب الشرق المسيحي مدينة دانفا (Danaba) في الجزء الثاني ص ٨٦٧ وذكر لها اسقفين امضى احدهما وهو تاودورس قوانين المجمع المسكوني وحضر الثاني سنة ٥٥٣ المجمع القسطنطيني الثاني ودعا صاحب الجغرافية المقدّسة : (C. a S. Paulo) (*Geographia Sacra*) صيدنايا باسم Castrum Danabenum وذكر لها اسقفًا باسم كوخينا (Cochena). وللاب بطرس مرتينوس اليسوعي مقالة مسهبة في صيدنايا وتاريخها مع ذكر صورة السيدة العجائبيّة التي فيها اختصرها البشير في عدد ١١٨٧ (٢٤ تموز ١٨٩٥) (المشرق)

كرسي الاسقفيَّة في دينة اوَّلًا قيل وهي سابع كراسي مطرنية دمشق ثم نُقل اليها فيما بعد. وعلى كلتا الروايتين تكون صيدنايا اسقفيَّة بنفسها نظرًا لما كان لها من الاهميَّة في ذلك العهد. ولم تزل كذلك الى القرن الماضي وآخر من وجدتهُ من اساقفتها اكليمنضوس الحلبي الذي توفي سنة ١٧٣٢ واما عند الروم الارثوذكس فقد ضُمَّت اسقفيَّة صيدنايا الى اسقفيَّة زحلة واصبح اليوم الكرسي واحدًا

وأجلّ الآثار الباقية الى اليوم في صيدنايا ديرها المشهور المعروف بدير الشاغورة نسبةً الى ايقونة لهُ تمثل العذراء. رأيت في كتاب كتبهُ في ٢٧ صفر سنة ١٢٣٤ الروم الكاثوليك في دمشق الى الخوري سابا الكاتب ان اسمها كان الشاهورة بالهاء. وهذا نصّ ما قيل فيهِ: « واما عمار الأوَد وحرمة الدير. . . فجناب ملّا افندي تعلّل بخصوص التجديد الواقع في حجرة الشاهورة ». وهذا الدير قديم جدًّا قيل انهُ بُني بامر الملك يوستينيانس في اوائل القرن السادس للميلاد. وهو اليوم خاصّ بالروم الارثوذكس

وكنتُ اوَّل ما عرفتُ هذا القِدَم من حالهِ قد سبق الى ظنّي ان تكون في خزانتهِ بعض كتب خطيَّة قد حُفظت فيها منذ عهدٍ بعيد كما يُرى في سائر الاديرة القديمة. فبينما انا اطالع في التاريخ السابق الذكر الذي لابن البطريرك مكاريوس الانطاكي اذ رأيتهُ يقول في معرض كلامهِ عن كتاب التيبكون الصغير للقديس نيكن ما نصُّهُ بالحرف: « اعلم يا اخي ان هذا الكتاب وجدتهُ في دير ستنا السيدة بمعمورة صيدنايا قديم جدًّا فجبتهُ معي الى حلب وأحيتهُ لاني كتبتُ عليهِ نسختين جدد ولم اجد ولا سمعت ان لهُ في بلاد العربيَّة نسخة ثانية »

وقد كان صاحب هذا التاريخ لمَّا ارتقى والدهُ السيد مكاريوس السدَّة البطريركيَّة في منتصف القرن السابع عشر وقبل ذلك قد طاف معهُ ابرشيتهُ الواسعة وزار الاديرة ديرًا ديرًا ونقَّب في مكاتبها فوجد في دير صيدنايا منها كما يؤخذ من كلامهِ السابق كتبًا نادرة المثال ليس فقط في الدينيَّات ولكن في التاريخيَّات ايضًا لانهُ ذكر فيما بعد حاشيةً قال فيها: « اعلم يا اخي اني وجدت في دير صيدنايا المعمور في كتاب قديم فيهِ هذه الاخبار التي اذكرها الآن » ونقل على الاثر طرفًا من اخبار الصليبيين وحروبهم من كتاب مخطوط لم يذكر مؤلفهُ

فلمَّا قرأتُ هذه الحاشية صحَّ عندي ما قدَّرتهُ من وجود مكتبة في الدير المذكور

وسألتُ عنها بعض الاخوان فقال لي: لا اظنّ ان يكون قد بقي منها بقيّة صالحة لان معظمها قد أُحرق وما لم تلتهمهُ النار اجتاحتهُ الايدي بحيث لا تكاد تجد فيها اليوم ما يُعبأ بهِ. وذكر لإحراقها سبباً لم اصدقهُ لاول وهلة حتى اثبتهُ لي بعض ابناء الطائفة فتولّاني منهُ عجب شديد ومنذ ذاك الحين عقدتُ النيّة على الرحلة بنفسي الى الدير المشار اليهِ لاتحقّق صحّة ما رُصف لي واسمع باذني من فم بعض الشهود اذا وُجدوا ثمّ خبر الحادثة كما تمّت لذلك العهد

وبتُّ اتوقّع فرصةً تسنح من الوقت حتى تهيّأتْ لي رفقة خرجت منذ شهرين تبتغي النُّزهة في مثل هذا الربيع الاغرّ فسرنا في رياض راق سماؤها وورقَ ماؤها تنثر فيها علينا يد الاشجار عقود الازهار حتى بلغنا الدير. فلمّا حللنا فناءهُ تلقّانا حضرة الوكيل فيهِ على الرَّحب والسعة وذكرتُ لهُ الغاية التي قدمتُ لاجلها فوعدني ان يُريني ما بقي من المكتبة في صباح الغد. ثم غاب قليلًا وحضر فدعاني الى غرفة رئيسة الدير « الحاجّة سعدى هلال » فدخلتُ اليها وهي طريح الفراش وبعد ان استقرّ بي الجلوس سألتها عن المكتبة وإحراقها فقالت: نعم اذكر ذلك كأني اشاهدهُ الساعة وان يكن قد مضى عليهِ ما ينيف على خمسين سنة. وكنت يومئذٍ فتاة صغيرة عند جدّتي في زمن رئاسة « الحاجّة كاترينا مبيّض » ووكالة والد الخوري ميخائيل كك والشخاشيري وجبران الميداني وكانت المكتبة في ذلك العهد حافلةً بالمخطوطات النادرة ولاسيّما السريانيّة منها فانها كانت وافرةً جدًّا حتى خشي الوكلاء من كثرتها ان تكون حجّةً بيد السريان يتقوّون بها على اثبات حقوقهم على الدير (كذا) فأجمع رأيهم على إخراجها وإتلافها تخلّصاً من شرّها فجمعوها ومعظمها من نفائس الكتب المخطوطة على رقّ الغزال وبدأوا يحرقونها تحت القناطر (واشارت الى مكانها). ثم كرهوا ان تذهب نارها ضياعاً فجمعوها في فرن الدير لتكون وقودًا لهُ وخبزوا عليها خبزتين »

فكدتُ اتميّز حنقاً مما سمعتُ واطرقت واجماً لا انبس بكلمة. فلمّا رأتني كذلك تنفّست الصعداء وقالت: لا تنقضي حسرتي على تلك المخطوطات التي لو كانت قد بيعت في حينها لحصل منها للدير اموال هو اليها في احتياج ولكن ما نصنع بالجهل اذا كان صاحبهُ يجد عذرًا لنفسهِ في اقتراف ما يسوّلهُ من ضروب الفظائع والمنكرات

نعم ايتها الحاجّة الرقيقة الفؤاد انّ في إحراق مكتبتَي الاسكندريّة وفارس لعذرًا

للذين تولوهُ وهم لم يقدموا على إعدامها الّا لاعتقادهم ان في تلك المصنّفات ضلالًا. واما هؤلاء الوكلاء الاغبياء فايُّ عذرٍ تجدين لهم وقد احرقوا تلك المخطوطات عمدًا وتعصُّبًا دون ان يأمرهم باحراقها الانجيل او ينهيهم عن مضمونها الوحي والتنزيل. فلا تطلبي لهم عذرًا في ما ليس لهم فيهِ عذر ولكن قولي معي جهرًا كما قلتِ لي في السرّ: يا ليت شلّت تلك الايدي قبل إعدامها مثل هذه الجواهر الكريمة فان من الاسفار ما تُبذل في صيانتهِ الاجساد بل من الآثار ما يقلُّ في فدائهِ دم الاكباد

ومما يزيد في هول هذا الخطب ان النار ظلّت تشتعل اربعة ايام في تلك المخطوطات خلا ما أُحرق منها تحت القناطر كما يؤخذ من قول الوكيل حين اقبلنا في الغد نطوف غرف الدير. فلمّا انتهينا الى القرن اراني موضعهُ وأخبرني في معرض كلامهِ عن نفقات المطبخ ان الخبزة عندهم تبتدئ مساء الخميس ولا تنتهي الّا يوم السبت ففهمت عند ذلك معنى قول الحاجّة لي: « خبزوا عليها خبزتين »

ثم دخلنا المكتبة فجعلتُ اقلّب ما بقي من الكتب فيها فوجدت بعضها في اليونانيّة في مجلدات قليلة وسائرها في العربيّة لا يكاد يُرى فيها غير نُسخ الانجيل وتراجم القديسين وبعض الميامر بين مخطوط ومطبوع. وبينما انا انظر في اسماء الكتب اليونانيّة عثرتُ على كتاب مخطوط في السريانيّة قرأتُ في آخرهِ انهُ من وقف القس يوحنا ضوميط من قرية الكفور من جبل لبنان. فعجبت لهذا الاثر الباقي كيف غفل عنهُ حضرات الوكلاء ولم يخشوا من بقائهِ على ذهاب الدير. ثم التفتُّ يسرة فرأيتُ ثلاثة وصولات بثلاثة كتب قد استعيرت من المكتبة منذ سنة ١٨٨٦ فاستغربت هذه العناية في ضبط الكتب والحرص عليها من الضياع ونظرتُ في الامضاء لاقرأ اسم المستعير فرأيتُ توقيعًا خُيّل لي لاول وهلة انهُ ختم فتفرّست فيهِ لاستوضح حروفهُ فاذا هو . . . أثر إصبع فعلمت اذ ذاك كيف انتُهب ما بقي من المكتبة بعد ما أُعدم منها في الحريق

ومما يشهد بذلك ايضًا اننا لمّا دخلنا معبد الشاغورة دنوت لاتفرّس في الايقونة فلم ارَ في مكانها الّا شبه صندوق من فضة قيل لي انها من ورائهِ فسألت الوكيل هل يعرف لها تاريخًا يُوثق بهِ فقال: بلى عندنا ههنا كتاب رُويت فيهِ قصّتُها بالتفصيل واشار الى راهبة بجانبهِ ان تأتيني بهِ ففعلت فتصفّحتهُ قليلًا فاذا هو مجموع اخبار ذُكرت في

آخرها قصة الايقونة والراهب الذي ابتاعها من اورشليم. فتطلّبتُ عنوان الكتاب لاعلم مَن مؤلفهُ وتاريخ تأليفهِ فلم ارَ لهُ مقدّمة يمكن انْ يُستفاد منها شيء. فنظرتُ في خاتمتهِ فاذا هو من نسخ «الحاجّة تقلا غزال». فقلتُ للراهبة التي اتتني بهِ: أليس عندكم الاصل الذي أُخذت عنهُ هذه النسخة. فقالت: هذه النسخة هي طبق الاصل تماماً. فقلت لها: ولكن للاصل قيمة ليست لهذه النسخة ولو اتيتني بهـا لاستدللت من النظر في بعض حواشيها او من مطالعة الكتابة الملحقة بذيلها على زمن تأليفها او اسم مؤلفها ومكانه لان معرفة هذه الامور ضروريّة لتقويم الكتاب وتعيين القـدر الذي يمكن ان يُركن اليهِ في قبول روايتهِ. ولو ناقشكم غدًا غريب في صحّة تاريخ هذه الايقونة وقِدَمها فبمَ تحجُرونه أبشهادة هذه النسخة الحديثة ولا شيء يثبت لهُ سلامتهـا من التحريف والتصحيف لاسيما مع خلوّها من ذكر المؤلف وزمن التأليف. فقالت: ان الاصل ليس عندنا ولكن اخذهُ بعض الزوار ... فخرجتُ عنـد ذلك وفي قلبي من الحسرة على ذهاب تلك الاسفار اضعاف ما أشعل فيها من النار

شهيد العلم

بقلم محمّد ابي عزّ الدين كاتب ضبط دائرة الحقوق الاستئنافية في جبل لبنان (تابع لما سبق)

ثم قام الدكتور مولر عن كرسيّهِ مرتّحًا بما اعتراهُ من وهن القوى وتقدم الى المرآة المعلّقة على الحائط ونظر فيها فاذا وجههُ اصفر وهيئتهُ تدلّ على سوء حالهِ وحينئذٍ نطق بهذه الكلمات: «يا والدي ووالدتي الحقّ اقول ان صحّـة ولدكما ليست على ما يرام». ثم تناول مقياس الحرارة الكليفيكي وقاس درجة حرارته فاذا هي ٣٧°٥ بمقياس سنتيكراد فسكن عندئذٍ روعهُ وقال: «توهمتُ اني مصاب بالطاعون ولا حمّى في جسمي»

ثم اضطجع في سريرهِ ونام نومًا لم يذُقْ فيهِ طعم الراحة ولمّا استيقظ في النهار التالي وجد صحّتهُ اسوأ ممّا كانت في الليلة السابقة واصابهُ صرع هو في الشدة غاية واذ نهض من سريرهِ تمايل كالشارب الثمِل وزاد عدد نبضاتهِ وارتفعت درجة حرارته حتى بلغت ٣٨°١ فشرع وقتئذٍ يتحرّى ما المَّ بهِ متأنيًا مستبصرًا كأنهُ يفحص جمادًا بالمجهر «الكرسكوب» وبعد التحرّي استنتج انهُ مصاب بالطاعون ومع ان بعض أعراضهِ لم